مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

المجلد الثالث ــ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

سكان بغداد

في مرحلة التأسيس والنشأة / دراسة في تاريخ السكان(*)

١٤٥-١٦٩هـ - ٧٦٢-٧٨٥م

الدكتور عبد علي الخفاف

جامعة الكوفة

عميد معهد الفارابي للدراسات العليا

النجف / العراق

الملخص :-

قدمت هذه الدراسة محاولة لتقدير حجم السكان في مدينة بغداد في السنوات (١٤٥-١٦٩هـ) الموافق (٧٦٢-٧٨٥م) التي حكم فيها الخلفاء العباسيون :

- ابو جعفر المنصور .
- المهدي .
- موسى الهادي .

كان اهم ما حصل فيها هو توجه أبي جعفر المنصور الى بناء الرصافة عام (١٥١هـ) (٧٦٨م) معسكرا لأبنه المهدي وذلك بعد ما بنى الكرخ .

(*) تاريخ السكان هو ما يطلق عليه في مناهج المعرفة بالتاريخ الديموغرافي Demographic History

تميز موقع بغداد وموضعها بخصائص جغرافية جاذبة للسكان ومشجعة على الاستقرار فيها ، فالسطح المنبسط ووفرة المياه والمناخ المتنوع بين صيف دافيء وشتاء بارد وفصلين معتدلين هما الربيع والخريف ، جميعها عوامل شجعت على الاستقرار .

تم تقديرنا لحجم السكان في بغداد في هذه الفترة الزمنية بنحو ٥٠٠٠٠٠ نسمة وقد توزعت مساحة المدينة في تركيبها الوظيفي (استعمالاتها) الى :-

٤٥٪ وظيفة سكنية .

٣٠٪ وظيفة حرف وتجارة وخدمات .

٢٥٪ وظيفة ادارية وسياسية .

(١) مقدمة

قدمنا محاولة سابقة لدراسة حجم وواقع السكان في القرى التي كانت تنتشر على موضع مدينة بغداد قبل تأسيسها .

وفي هذه الدراسة سنحاول ان ندرس واقع السكان في مدينة بغداد في مرحلة التأسيس والنشأة .

شهدت هذه المرحلة من تاريخ بغداد حكم ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم :

- ابو جعفر المنصور : عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم النبي (ص) ولد في ٩٥هـ -٧١١م تولى الخلافة في ١٣٦هـ -٧٥٢م وذلك بعد

وفاة ابي العباس السفاح ، وانتهت خلافته بوفاته ١٥٨هـ - ٧٧٥م بعد أن دامت ٢١عاما واحد عشر شهرا واربعة عشر يوما ، وهو بذلك يعد من الخلفاء العباسيين الذين تجاوزت خلافتهم العقدين .

- المهدي : ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور ، ولد في ١٢٧هـ (٧٤٤م) وتولى الخلافة بعد وفاة والده عام ١٥٨هـ (٧٥٥م) وتوفي في ١٦٩هـ (٧٨٥م) بعد أن دامت خلافته [١٠] اعوام وشهرا واحدا .
- موسى الهادي : ابو محمد موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، ولد في ١٤٧هـ(٧٦٤م) وتولى الخلافة في ١٧٠هـ (٧٨٦م) وتوفي في ١٧١هـ (٧٨٧م) فدامت خلافته عاما واحدا وخمسة واربعين يوما [١] .

وبذلك يأتي تحديد هذه المرحلة من تأريخ الخلافة العباسية في ٢٤ عاما ، وكان اهم ما حصل فيها هو توجه أبي جعفر المنصور الى بناء الرصافة عام ١٥١هـ (٧٦٨م) معسكرا لابنه المهدي ، بعدما بنى جانب الكرخ ، كما أن المهدي قام بتحسين الطريق ما بين بغداد ومكة وأسس البريد مابين بغداد ومكة ايضا ، ولهذه الاعمال دورها في تنمية بغداد وتطويرها اقتصاديا وسكانيا .

ولابد من التنويه إلى أن بغداد من الحواضر (المستقرات الحضرية) التي ظهرت بقرار لتأسيسها ، فهي من المدن التي اسست ، أي من مدن

---

[١] مرزة ، منذر حواد - بغداد وحاكموها عبر العصور (٧٦٢ - ٢٠٠٣) - مطبعة الغري الحديثة - النجف - ص٢٣٢ (اخذت عنه التواريخ المتعلقة بالخلفاء المشار اليهم في هذا الكتاب كافة) .

التأسيس وليس من مدن النشأة ، على أن الخصائص الجغرافية لموضع بغداد كانت مشجعة فكانت وراء نشأة قرية بغداد وسوق بغداد وعشرات القرى من حولها .

(٢) خصائص عامة في موقع بغداد وموضعها :

تشير مصادر التاريخ التي تناولت بناء مدينة بغداد إلى وصف الخصائص الجغرافية العامة لموضعها ، فهي خصائص مشجعة على جذب السكان وعلى تأسيس مستقرة بشرية . لقد اختار ابو جعفر المنصور موضعا جغرافيا يمتد مابين نهر دجلة شرقا ونهر الدجيل شمالا ونهر قطربل غربا ونهر الصراة جنوبا ، بعد أن عزم على بناء مدينة جديدة بعيدة عن الفتن وتكون مستقرة امنة وحاضرة للخلافة العباسية . ولأجل أن يتيقن الخلفية من صلاحية البيئة في هذا الموضع للسكن وبناء المدينة فقد توجه اليه واقام فيه بضعة ايام ليختبر صلاحيته بنفسه وقبول حالة الجو فيه وملاءمة تربته للزراعة .

ويبدو أن هذا الموضع قد اعجبه لقربه من شبكة الانهار والجداول(*) والى جانب ذلك يبدو أن هذا الموضع قد توفرت فيه الشروط البيئية التي

(*) وبلغني أن المنصور لما عزم على بناء بغداد احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم فأجرى عليهم الارزاق ... ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من اهل المهن والصناعات الوف كثيرة ، ثم اختطها وجعلها مدورة .....

عن : الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد او مدينة السلام – ج١–ص٦٦ . ←

يحتاجها عرب الجزيرة وفي مقدمتها قلة الرطوبة وقلة الحشرات والهوام ، كما توفرت فيه شروط الدفاع [**] ويبدو أن مرور اكثر من قرن من الزمن على خروج العرب من شبه الجزيرة كان كافيا لإلغاء الشرط الذي اعتمدوه عند بناء كل من البصرة والكوفة وهو ان لا يفصلهما عن موطن العرب ، مكة والمدينة ، أي نهر او بحر فيكون بمثابة العازل الفاصل .

أن الباحث الذي يتابع موضوع تأسيس بغداد وبنائها يدرك أن اختيار موضعها الذي شيدت عليه لم يحصل عن فراغ ، فقد عرف هذا الموضع مستقرة بشرية قبل بنائها وبذلك فان بغداد العباسية كانت وريثة بغداد البابلية القديمة[*] وهي موضع لعدة قرى ايضا ، مما يدل على أن موضعها يتمتع

← لقد ذكر المؤرخون اسباب كثيرة لاختيار المنصور هذه البقعة على غيرها منها اقتصادية ومنها عسكرية ومنها صحية ..... وعند ذلك ابتدأ بحفر الاساس وكان ذلك سنة ١٤٥هـ فوضع بيده (ابو جعفر المنصور) أول آجره في بنائها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والارض لله ، يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين .....ثم قال : ابنوا على بركة الله .

عن : محمد علي ، ابراهيم مرزة (٢٠٠٨) مدينة بغداد - الطبعة الاولى - الحضارية للطباعة و النشر - ص١٥٤-١٥٥ .

[**] وهي بين انهار لا يصل اليها العدو الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسور ونسفت القناطر لم يصل اليها العدو .

عن: يله الراوي (ـ) بغداد مدينة السلام - دار المعارف - القاهرة - ص١٥ .

[*] كشفت الحفريات الاثارية في موضع بغداد عن واجهة كبيرة مبنية بالآجر البابلي عليها اسم الملك الشهير نبوخذ نصر (٦٠٥-٥٦٢) ق.م .

عن : مجلة الفيصل (المملكة العربية السعودية) - ١٩٨١م - العدد (٢٥) - {تحقيق}.

ببيئة جغرافية مشجعة على الاستقرار والعيش فيها ، فهي منطقة مأهولة Ecomene Area ، وقد ورد اسمها في اخبار فتوحات العرب للعراق قبل أن يتم بناؤها من قبل ابي جعفر المنصور(**) مما يدل على وجودها او وجود ما هو قريب من اسمها او شبيه بها إذ تشير مصادر التاريخ إلى وجود قرية كبيرة كانت تحمل اسم بغداد او بغدان او مغداد او مغدان .

ويبدو أن هذه القرية الكبيرة هي السوق التجارية الكبيرة التي يتوجه اليها التجار من بلاد فارس والأحواز وسائر الجهات كما يشير إلى ذلك "ياقوت الحموي" [٢] وهي تقع إلى الجنوب من نهر الصراة [٣] . لقد ورد ذكرها كثيرا في تاريخ الفتوح الإسلامية وتشير المصادر إلى ما فعله فيها "المثنى بن حارثة" فقد أغار عليها عام ١٣هـ الموافق ٦٣٤م في جمع من اصحابه فغنموا ما بأيدي اهلها من ذهب وفضة ثم رجعوا إلى الأنبار [٤] .

ويشار إلى أن العرب المسلمين قد استقروا في منطقة بغداد بعد فتحهم العراق ، فيذكر المؤرخون أن البقعة التي تقع شمال نهر الصراة العظمى امتلكها قوم من العرب المسلمين وبقيت بلقب عربي فكان اسمها "مزرعة

(**) بدأ بناؤها في ١٤٥هـ -- ٧٦٢م وانتهى عام ١٤٩هـ -٧٦٦م .

(٢) الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، دار بيروت ، (١٩٥٥) ، ص٤٧٩ .

(٣) جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا – المجمع العلمي العراقي – (١٩٥٨) ، ص٢١

(٤) الحموي – المصدر السابق – ص٢٣٢

المباركة" وهي ذات البقعة التي شيد عليها المنصور مدينته المدورة [٥]. وكانت هذه البقعة لستين شخصا من البغداديين فعوضهم عنها ابو جعفر المنصور عوضا ارضاهم [٦] .

كانت إلى الجنوب الغربي من مزرعة المباركة قرية تعرف باسم "قرية الخطابية" والى الشمال منها "قرية دير بستان القس" وكانت في المنطقة ايضا قرية "الشرقانية" و "دير بافيون" الذي عرف بعد تأسيس مدينة بغداد المنصور بأسم "الدير العتيق" ، والى جانب هذا الدير كان يوجد دير يسمى "عمر صليبا" ، وقرية الكرخ وقرية براثا وقرية سال وقرية ورثالا وقرية بناورا وقرية قفطتا وقرية الوردانية التي تمت الاشارة إليها.

أن هذه القرى هي القرى الكبيرة وقد زحفت ، في حينها ، مدينة المنصور على بعضها ، والى جانب هذه القرى عشرات من القرى الصغيرة تؤثر وجودها شبكة الانهار والجداول والترع وعشرات القناطر المشيدة فوقها ، كما هي على الخريطة التي اعدها المستشرق "ماكسيميليان ستريك" في كتابه "بلاد بابل القديمة"[٧] ، أن هذه القناطر والتي تبدو على الخريطة المذكورة كانت [١٢] قنطرة جاء بناؤها وتشييدها لتسهيل حركة وانتقال سكان القرى في هذا الموضع.

---

[٥] جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق / ص ٨ .

[٦] ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي (١٣٤٢ هـ) ، مناقب بغداد (علق عليه ونشره محمد بهجة الأثري البغدادي) ، مطبعة دار السلام ، بغداد : ص ٧ .

[٧] جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق / ص٧١ .

تصور لنا جميع المصادر التي تناولت منطقة بغداد وموضعها قبل تأسيسها أنها منطقة زراعية مزدهرة وعامرة بنشاطها الزراعي المتوزع بين الحقول الزراعية وتربية الحيوانات لاسيما الماشية ، وأنها منطقة عرفت الاستقرار البشري بكثافة سكانية مرتفعة حيث تنتشر فوقها القرى الكبيرة والقرى الصغيرة .

لرغبة المنصور في بناء عاصمة جديدة للدولة العباسية فقد اختار هذا الموضع ، فتشير المصادر انه جاء إلى صاحب "بستان القس" فاجتمع به مع بعض من الرهبان ومع صاحب قرية "بغداد" وبعض اصحاب المزارع و الدهاقين ، فسألهم عن الحر و عن البرد و المطر و الوحل وعن الهوام و البعوض في هذا الموضع ، وبعد محادثات طويلة ، اقترح صاحب بغداد على المنصور إذ قال : يا أمير المؤمنين اني ارى أن تنزل اربعة طساسيج (نواحي) في الجانب الغربي طسوجان هما "قطربل" و "بادوريا" وفي الجانب الشرقي طسوجان هما "بوق" و "كلواذي" فتكون بين نخل وقرب ماء فان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات . وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام و الرقة و المغرب في طوائف مصر ، وتجيئك الميرة من الهند و الصين و البصرة وواسط وديار بكر و الروم والموصل وغيرها في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها من "تامرا" حتى تصل بالزاب . فانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القنطرة لم يصل اليك احد . ودجلة و الفرات و الصراة خنادق هذه المدينة ، وانت متوسط مابين الكوفة و البصرة وواسط و الموصل و السواد وانت قريب

من البر و البحر و الجبل . فازداد المنصور عزما على النزول في ذلك الموضع [٨] .

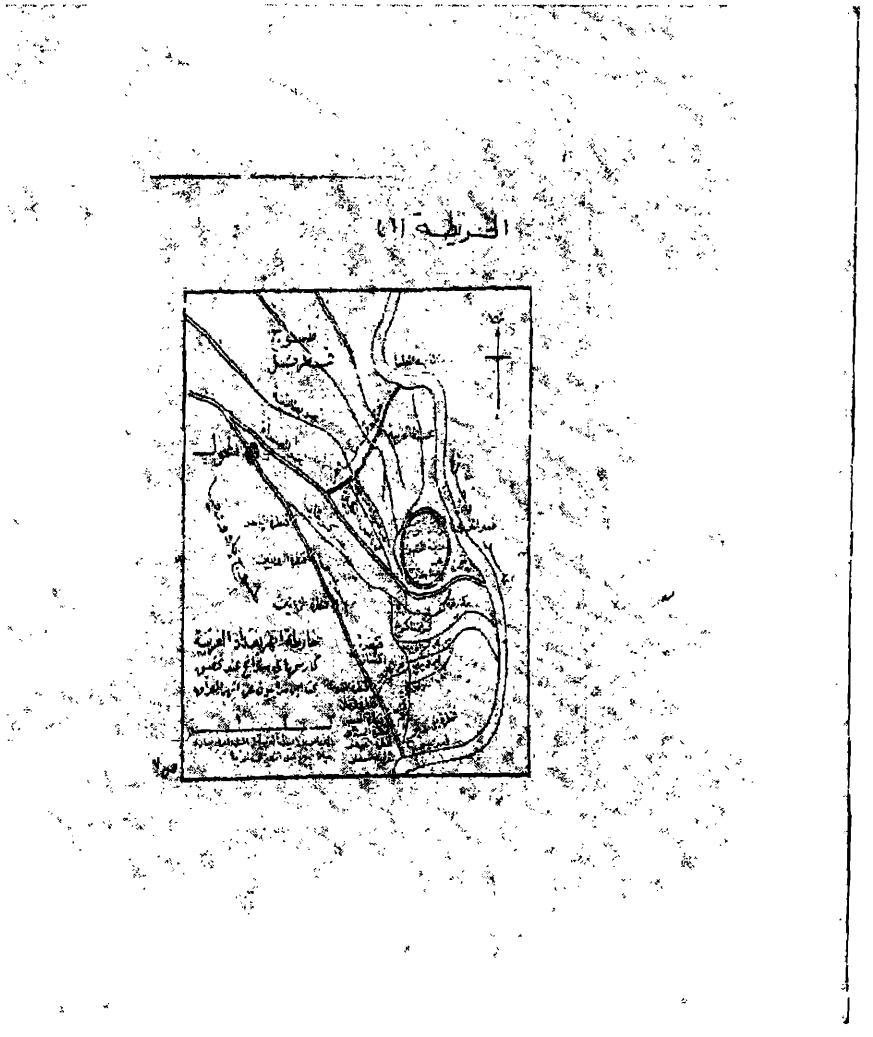

[٨] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٦) . تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، ج١ ، الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ، ص ٦٦ -- ٧٠ .

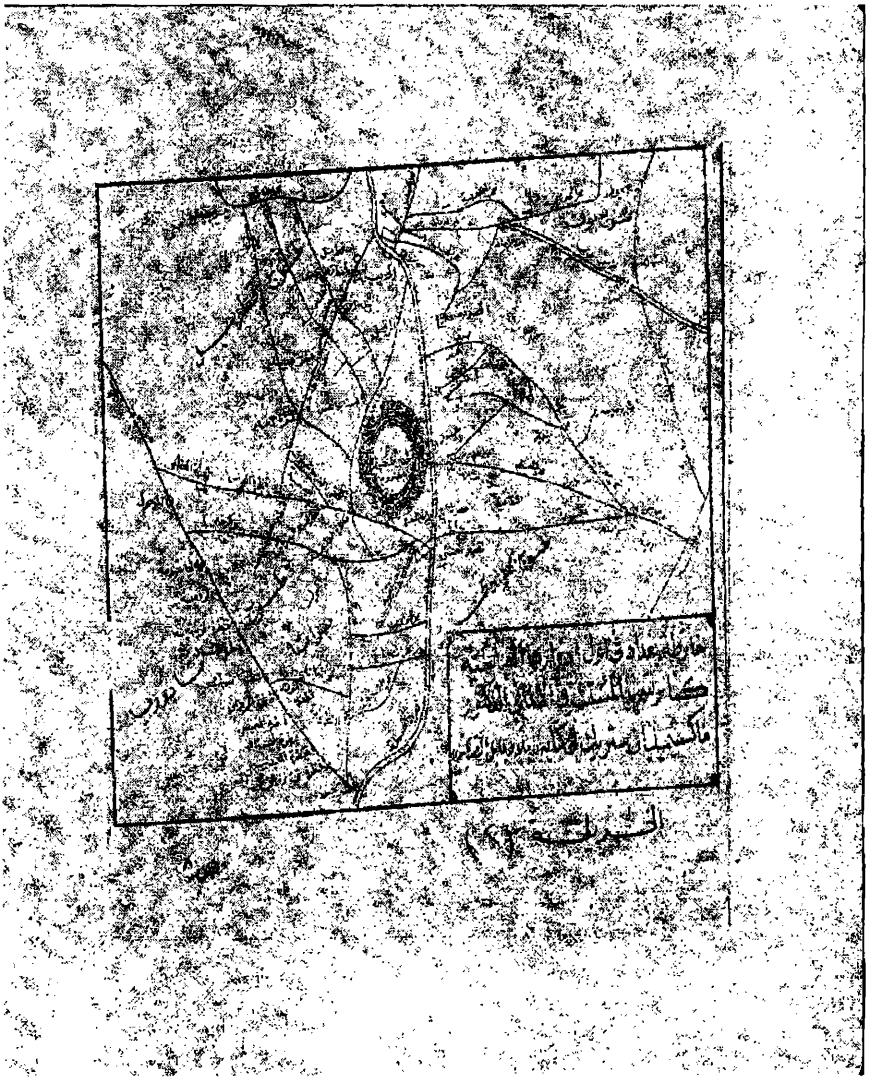

(٣) تقديرات المساحة وعدد السكان :

بعد أن تولدت القناعة لدى المنصور في اختيار هذا الموضع احضر اهل المعرفة بالبناء و الذرع و المساحة وقسمة الارضين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة و الصناع من النجارين و الحدادين

و الحفارين وغيرهم فأجرى عليهم الارزاق[*] وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من امر البناء ، ولم تحصل المباشرة في البناء ، حتى تكامل بحضرته من اهل المهن و الصناعات الوف كثيرة[**] ثم اختطها وجعلها مدورة[٩] . عند ذاك تم البدء بوضع الاساس وذلك في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م ، فوضع (ابو جعفر المنصور) بيده أول آجره في بنائها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والارض لله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ..... ثم قال : ابنوا على بركة الله[١٠]. هناك شبه اجماع على أن مساحة المدينة التي تم بناؤها مع سورها وخنادقها كانت [١٣٠] جريبا [١١] وان الجريب يساوي ١٣٨٤م٢ وبذلك كانت مساحة المدينة [١٧٩٩٠] مترا مربعا أي انها اقل من ١/٥ كيلو متر مربع . بينما يذكر

---

[*] أنفق المنصور اربعة الاف الف و ثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما . عن : الطبري - ج٣- ص٣٢٦ .

وقد اختلف المؤرخون في تقدير هذه الكلفة ولعل اقربها إلى التصديق انها بلغت (ثمانية عشر الف الف درهما) أي ثمانية عشر مليون درهم وابعدها انها كانت اربعة ملايين درهم . عن : جواد و سوسة (١٩٥٨) ص٦٢ .

[**] كان عدد البنائين و النجارين و الحدادين و الحفارين مائة الف عامل . عن : اليعقوبي - البلدان -- ص٣٣٨.

وعن : الخطيب البغدادي -- ج١ -- ص٦٧ .

[٩] الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (طبع بعناية محمد أمين الخانجي) ، ج ١، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (١٩٣١) ، ص ٦٧ .

[١٠] الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ -- ٦١٩ .

[١١] الخطيب البغدادي ، المصدر السابق / ص٦٩ .

"اليعقوبي" أن المسافة بين باب واخر هي [٥٠٠٠] ذراعا سوداء (والذراع تساوي ٥٠ سنتمترا) (١٢) ولما كانت الابعاد بين الابواب الاربعة متساوية فذلك يعني أن محيط المدينة هو [٢٠٠٠٠] ذراعا أي [١٠كم] [١٢]

وبذلك تكون مساحتها [٧,٩٢٥ كم^{٢}] وهي مساحة محسوبة من خارج الخندق ، وهذا تقدير مبالغ فيه فليس من المعقول أن تكون مساحة المدينة نحو [٨مليون] مترا مربعا.

يميل الباحثان (احمد سوسة) و (مصطفى جواد) إلى التقدير الوسط لهذه المساحة ، فهما يشيران الى الابعاد التي ذكرها "الخطيب البغدادي" و "ابن الجوزي" ومنها توصلا إلى أن المساحة كانت [٣١٤١٦٠٠م^{٢}] أي قرابة [٣كم^{٢}][١٣]

نحن لا نرى ان تقدير المساحة بأقل من كيلو متر مربع كافية لان تغطي وظائفها الحضرية و السياسية و الادارية و الاقتصادية و العسكرية والسكنية كما توصف في المراجع . نقد حاولنا تقدير مساحتها ومن ثم تقدير المساحة السكنية فيها لأجل تقدير حجم السكان ، وقد اعتمدنا في تقدير مساحتها على الخريطة التي حققها الدكتور "احمد سوسة" والتي رسمت بمقياس ١:١٠٠٠٠سم أي بواقع سنتمتر واحد لكل ١٠٠٠٠سنتمترا على الارض ، وعلى اساس هذا المقياس فأننا نقدر المساحة بحدود [٧٩٢٠٠٠٠]

---

[١٢] اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٠٠٢) ، البلدان (وصنع حواشيه محمد أمين ضناوي) ، الطبعة الأولى (منشورات محمد علي بيضون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢٠٠٢) ، ص٢٥ .

[١٣] جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق – ص٦٣ .

مترا مربعا[*]. وبذلك نرى أن تقدير " الخطيب البغدادي " لمساحة بغداد المدورة بحدود [٧٠كم٢][١٤] تقدير مبالغ فيه .

وفي ضوء الخريطة المذكورة فأننا نقدر مساحة المنطقة المستغلة للوظيفة الادارية "دواوين الحكومة والقصور الحكومية " قصر باب الذهب ومجموعة قصور اولاد المنصور بنحو [١٩٨٠٠٠٠م٢] وهي بذلك تشكل نسبة نحو [٢٥٪] من المساحة الكلية .

يتوزع المتبقي من مساحة المدينة على [٦٠٪] للوظيفة السكنية وبواقع [٤٠٪] للوظيفة التجارية والخدمات والاسواق ومحلات خدمات الخيل والدواب والسكك (الازقة) وان سكن الفقهاء و العلماء والاطباء والنخبة المقربة من الحكومة ضمن مساحات دواوين الحكومة[**] .

على اساس هذه النسب فان المساحة التي شغلتها الوظيفة السكنية هي [٢٣٧٦٠٠٠م٢] وفي حالة افتراضنا أن متوسط مساحة الوحدة السكنية (البيت) هو [١٠٠م٢] فان ذلك يعني وجود [٢٣٧٦٠] وحدة سكنية .

واذا ما افترضنا أن حجم الاسرة الساكنة في الوحدة السكنية هو ١٠ نسمة ، بفعل سيادة الاسرة الممتدة ، فان ذلك يعني أن عدد السكان في بغداد حينذاك هو [٢٣٧٦٠٠] نسمة ، كان من بينهم اسر البنائين .

(*) تم حساب ذلك بقياس نصف القطر وهو ٦سم ثم تربيعه وضربه بالنسبة الثابتة ٧/٢٢ (مساحة الدائرة) .

(١٤) الخطيب البغدادي – المصدر السابق – ص٧٣ .

(**) كانت اسواق بغداد ومحلات التجارة فيها في الاطواق المحيطة بالطرق والمسالك الاتية من الابواب داخل السورين ، ثم امر المنصور بنقلها إلى خارج المدينة المدورة . عن : الخطيب البغدادي – جـ ١ – ص٧٣ .

نضيف إلى هذا العدد [١٣٩٩٩٨] نسمة هم ممن افترضناه من عودة ثلثي المقاتلين الذين بلغ تعدادهم [٤٦٦٦٦] نسمة[*] وتوجههم للسكن في بغداد ، وقد افترضنا أن متوسط اسرة كل مقاتل هو [٣] نسمة[**] ، وبذلك سيكون سكان بغداد [٣٧٧٥٩٨] نسمة ، يضاف اليهم افراد الحكومة واعداد الشرطة و النخبة المقربة من الخليفة وعياله واهله بحدود [١٢٢٤٠٢] نسمة .

من كل ما تقدم فان تقديرنا لعدد السكان في بغداد في هذه المرحلة هو بحدود [٥٠٠.٠٠٠] نسمة ، من ضمنهم عيال الخليفة واهله ومجتمع الحكومة وجنده او سكان القرى الموجودة قبل تأسيس بغداد .

المعروف أن في العام ١٤٩هـ-٧٦٦م تم بناء مدينة بغداد المدورة وجميع مرافقها ، وفي العام ١٥١هـ-٧٦٨م بدأ العمل في بناء الجانب الشرقي (الرصافة) ، فلم تلبث الاعتبارات السياسية والاستراتيجية التي اعتمدها المنصور المتمثلة بتقسيم الجيش والافتفار إلى الارض المفتوحة ، الارض الفضاء ، أن دفعته إلى اقامة معسكر معزول نسبيا لولي عهده المهدي ، فبنيت المنطقة وسميت بادئ الامر (بعسكر المهدي) ثم سميت (بغداد

(*) في العام ١٤٠هـ- ٧٥٧م سيّر المنصور جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ مقاتلا بقيادة ابن اخيه ابراهيم بن محمد الإمام إلى مطلية فعمروا هناك ما كان خربه الروم منها وتركوا هناك عدة الاف من الجند . عن : جواد ومسوسة (١٩٥٨) ص٤٤ .

ثلثي المقاتلين : ٧٠٠٠٠ ÷ ٣ = ٢٣٣٣٣ × ٢ = ٤٦٦٦٦

(**) ٣×٤٦٦٦٦= ١٣٩٩٩٨نسمة .

المهدي) وسميت فيما بعد (بالرصافة) وجاءت هذه التسمية الاخيرة بفعل ارتفاع الارض في موضعها ومواضع طرقها [١٥](***) .

كان اول مبنى تم تشييده في الرصافة هو جامع الرصافة الكبير وكان اوسع من جامع مدينة المنصور واجمل منه ؛ ثم اعقبه بناء قصر المهدي في جوار الجامع و إقامة الدور و القطائع حوله ، وقد اتم المهدي بناء الرصافة بعد وفاة والده وتوليه الخلافة ، ويقال انه اتم ذلك في العام ١٥٩هـ - ٧٧٦م أي في السنة الثانية من خلافته ، وظل مقيما فيها [١٦] .

ويذكر "اليعقوبي" بإسهاب القطائع المختلفة التي اقطعها المهدي رجاله من الحاشية و المقربين ومن نخبة المجتمع في الاراضي المحيطة بالرصافة ، وكانت هذه الاراضي في الشمال الشرقي و الجنوب الشرقي وقد اصبحت اخيرا محلة الشماسية ومحلة المخرم[١٧] . لقد توسعت الرصافة بسرعة بعد أن تم تأسيس الاسواق و المرافق المتنوعة فيها ، ويشار إلى أن فيها [٤٠٠٠] دربا وسكة واصبحت تضاهي الكرخ في سعة القصور و الاسواق و الدروب ، فيشير "اليعقوبي" أن دروب وسكك الجانب الغربي

---

[١٥] سوسة ، أحمد (١٩٦٣) ، فيضانات بغداد في التاريخ (ساعد المجمع العلمي على نشره)ج ١ – مطبعة الأديب البغدادية ، ص ٢٢٨ .

[***] يذكر أن المهدي لما جاء بعسكره الكثيف من الري إلى العراق امره والده المنصور أن يعسكر في الجانب الشرقي من بغداد لئلا يحصل زحاما للناس في داخل البلد ففعل المهدي ما امر به . عن : ابن الجوزي (١٣٤٢) هـ – ص١٠٢ .

[١٦] جواد مصطفى وسوسة، احمد – المصدر السابق / ص ١٠٧ .

[١٧] المصدر نفسه – ص١٠٧ .

"الكرخ" عند بناء بغداد كانت [٦٠٠٠] بينما عدد هذه السكك في الجانب الشرقي (الرصافة) [٤٠٠٠] سكة [١٨] .

من خلال الوصف العمراني الذي تشير اليه جملة مصادر تاريخ بغداد ، ومن خلال تحديد المساحة والتي رجحنا انها نحو ٨ مليون متر مربع أي نحو ٨ كيلومتر مربع [٨كم٢] ، وتقديرنا لحجم السكان بنحو [٥٠٠٠٠٠] نسمة ، فان متوسط الكثافة العامة للسكان هو [٦٢٨٠٠] نسمة في الكيلو المتر المربع الواحد ، وهذه كثافة مرتفعة جدا تؤشر حالة الاكتظاظ وحالة الازدحام في المدينة ، ولعله من المفيد أن نقدم صورة لهذا الاكتظاظ عبر المقارنة مع مدن حالية معروفة بكثافتها السكانية المرتفعة ، فعلى سبيل المثال نذكر أن مدينة "كلكتا" الهندية ذات متوسط للكثافة يصل إلى [١٣٦٤٠] نسمة ، وفي نيويورك [٨٧٢٢] نسمة ، وفي دلهي [٦٣٠٠] نسمة وفي بكين [٤٠٣٩] نسمة ، وذلك في مطلع العقد الاول من القرن الحالي[١٩]. تهبط الكثافة في بغداد الحالية إلى [٣٠٣٨] نسمة وهي بذلك اقل من كثافة بغداد المنصور نحو [١١] مرة في الوقت الذي تضاعف عدد السكان فيها إلى نحو [١١] مرة حيث يقدر تعداد سكان بغداد الكبرى حوالى [٥٥٣٥٠٠٠] نسمة عام

---

[١٨] اليعقوبي – المصدر السابق ص٢٤٧ .

[١٩] الخفاف ، عبد علي – جغرافية السكان / اسس عامة / دار الفكر/ عمان / الاردن /(١٩٩٩)، عدة صفحات

٢٠١١م(*). لا شك أن هذا الاختلاف في مستوى الكثافة يعود إلى طبيعة العمران ، فما كانت الوحدة السكنية تزيد على [١٠٠] متر مربع الا نادرا حيث تتسع دور الخليفة وابنائه ووزرائه والنخبة إلى اكثر من ذلك بكثير ، بينما الذي يلاحظ في الوقت الزاهر أن متوسط مساحة الوحدة السكنية تتراوح مابين [٢٥٠-٦٠٠] م٢ وقد تزداد إلى اكثر من ذلك بكثير في بيوت النخبة الموسرة .

كذلك يختلف اتساع الطرق والشوارع فهي اليوم ما بين [٦٠-١٢٠] م وغالبها ذات ممرين ، في حين كان اتساعها نحو [٢٠] م في البعض القليل منها ، وهي الطرق الرئيسة النافذة ، ويقال أن المنصور امر بتوسيع الطرق في مدينته وجعلها على [٤٠] ذراعا(٢٠)(*).

وتشير مصادر تاريخ بغداد الى تطوير عمراني سريع حصل فيها ، فمنع نموها اقتصاديا واجتماعيا وسكانيا ظهرت فيها الاحياء الارستقراطية

(*) لقد تم تقديرنا لعدد السكان على اساس أن سكان بغداد الكبرى (اقضية : الرصافة – الأعظمية – الصدر(١) – الصدر (٢) – الكرخ – الكاظمية) يشكلون ٩٠٪ من السكان الحضر لمحافظة بغداد و البالغ [٦١٤٩٧١٥] نسمة عام ٢٠١١م وذلك حسب تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء – المجموعة الاحصائية السنوية (٢٠١٠-٢٠١١) الجدول (٢- ٨ - ب) .

(٢٠) جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق – ص٥٢ .

(*) الذراع السوداء تساوي ٤٩سم وفي الاغلب ٥٠ سم . عن : جواد و سوسة (١٩٥٨)- ص٦٢ .

مثل الظاهر والشماسية والمأمونية ودرب عون ، كذلك ظهرت فيها أحياء الطبقة المتوسطة مثل قطيعة الكلاب ونهر الدجاج [٢١] .

يساعدنا التركيب الداخليInternal Stracture للمدينة وتصميمها الاساس Master Planعلى امكانية تصور الواقع السكاني فيها ، فقد قسمت بغداد المدورة الى اربعة ارباع ، كل ربع منها يقع بين بابين(**) ولكل ربع اسواقه وانظمة شوارعه النافذة وغير النافذة .

ان قراءة خريطة المدينة المدورة وهي بمقياس ١/١٠٠٠٠ سم والتيحققت من قبل الدكتور أحمد سوسة ، تشير الى ان المسجد الجامع قد شيد عند مركز المدينة ، وهو ملاصق لقصر باب الدهب وتحيط بهما قصور اولاد المنصور وهي الاخرى محاطة بدوائر الدولة (دواوين الحكومة) ، وتقترب من ان يكون ١/٤ مساحة المدينة قد خصصت للوظيفة الادارية والوظيفة السياسية ، تتجه نحو مركز المدينة هذا (٤٤) سكة (درباً) .

اما الوظيفة السكنية فقد شغلت نحو ٦٠٪ من المساحة ، ويعكس تخطيط هذه الوظيفة افكاراً اجتماعية ، فقد كان لكل ربع من ارباع المدينة

---

[٢١] محمد علي ، ابراهيم مرزة (٢٠٠٨) مدينة بغداد / الابعاد الاجتماعية وظروف النشأة / دراسة بنائية تأريخية – الطبعة الاولى – الحضارية للطباعة و النشر – بغداد – ص ١٠٢ .

[**]هذه الابواب هي : باب خراسان في الشمال الشرقي وباب الشام في الشمال الغربي وباب البصرة في الجنوب الشرقي وباب الكوفة في الجنوب الغربي . عن : جواد وسوسة (١٩٥٨) مصدر سابق – ص٥٣ .

شخص مسؤول ، وكانت تقيم فيه ، بصفة عامة ، جماعة اثنية متجانسة من العرب او الفرس او الخوارزم وغيرها . وقد يحصل التجانس المهني فللجند منطقتهم السكنية وهي في شمال وغرب المدينة خارج الاسوار ، بينما تتركز المنطقة السكنية للتجار وللصناع وللحرفيين في الجانب الغربي (الكرخ) جنو بفناء الصراة كما ظهرت الاسواق المتخصصة .

فتركز ما تبقى من المساحة وهي ١٥٪ فقد استغل لوظيفة التجارة والخدمات والصناعة (الحرف) ، تركزت الحرف في منطقة راس الجسر الشرقي وتركزت منطقة الاصطبلات في الربع من خراسان ، ومنطقة الشرطة والحبس (سجن المطبق) بين باب البصرة وباب الكوفة ، وانتشرت الوظيفة السكنية على مناطق السكك والدروب كما اشر الى عددها . وتركزت الوظيفة الثقافية والتعليمية عند وسط المدينة ضمن قصور الحكومة وقصور النخبة ، بينما توزعت الوظيفة الدينية على ارجاء واسعة من المدينة حيث توجد المساجد الى جانب المسجد وهي تقوم بوظيفتها ، الجامع الملاصق لقصر باب الذهب .

ان تعدد وظائف المدينة ، السياسية والادارية والسكنية والخدمية والتجارية والصناعية والثقافية والدينية يؤشر حالة من النمو الاقتصادي ومن التطور الاجتماعي ومن نمو السكان ، فأصبحت بغداد تنمو سكانيا بفعل العاملين المعروفين في علم السكان وهما العامل الطبيعي الناتج عن الفرق ما بين الولادات والوفيات ، والعامل المكاني ، عاملا لهجرة ، وهي اعداد الوافدين الى المدينة والراغبين بالعيش فيها .

طبيعة التركيب الوظيفي Functional Stracture التي حددنا ملامحها تجعلنا نطمئن الى ان تقديرنا حجم السكان في بغداد في هذه المرحلة بحدود ٥٠٠٠٠٠ نسمة هو تقدير غير مبالغ فيه ولعله يمثل الحدود الدنيا .

الجدول (١)/ توزيع مساحة المدينة على الوظائف (التركيب الوظيفي)

الوظيفة	المساحة كم٢	%
الادارية والسياسية	٢,٠	٢٥
التجارة –الحرف–الخدمات	٢,٤	٣٠
السكنية	٣,٦	٤٥
المجموع	٨,٠	١٠٠

– تقدير الباحث

الشكل (١)

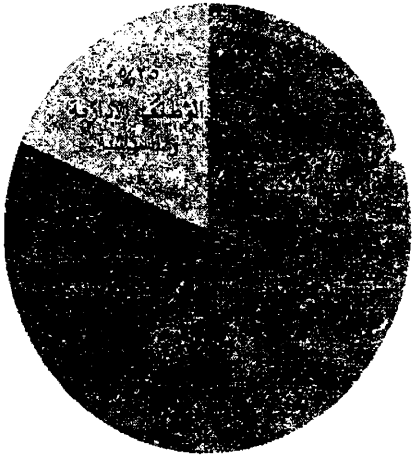

توزيع مساحة بغداد على الوظائف الرئيسة

(عهد الخليفة ابو جعفر المنصور) ١٤٥ - ١٥٨ هـ

(٤) هرم السكان :

يستند توصيفنا هرم السكان في مدينة بغداد في هذه المرحلة المبكرة من تاريخها الى ادبيات علم السكان " ادبيات الديموغرافية " وبشكل خاص تلك الادبيات التي تناولت المجتمعات القديمة .

فالنسبة الى التركيب النوعي " التركيب الجنسي -- Sex -- Stracture " فاننا نتوقع تفوق اعداد الذكور Male على اعداد الاناث Female وذلك بفعل ان مجتمع السكان في المدينة قد تشكل بنسبة كبيرة من افراد الجيش العائدين من " مطلية " وكانوا تحت قيادة إبن اخ الخليفة ابو جعفر المنصور ، ابراهيم بن محمد الامام والذين اشتبكوا مع الروم في عدة معارك ، وقد تم تقديرنا لاعدادهم ، وهم في الغالب من العازبين والقليل منهم الذي اصطحب معه اسرته .

الى جانب ذلك فان مجتمع السكان الاول كان من المهاجرين الوافدين الى بغداد ، من سكان القرى المجاورة ومن حواضر العراق الاخرى ، الكوفة والبصرة ، ونتوقع ان هذه الهجرة كانت هجرة عمل فهي في الغالب هجرة ذكورية وليست اسرية .

على اساس هذه التصورات نتوقع ان التوزيع النوعي للسكان كانت بنسبة تتراوح مابين ٦٠٪ - ٥٥٪ للذكور وبنسبة ٤٥٪ - ٤٠٪ للاناث ، وهذا يعني ان عدد الذكور يتراوح ما بين ٣٠٠٠٠٠ - ٢٧٥٠٠٠ نسمة بينما كان عدد الاناث يتراوح ما بين ٢٢٥٠٠٠ - ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

وتؤشر لنا هذه النسبة المئوية الى ان نسبة النوع Sex -- ratio كانت تتراوح ما بين ١٥٠ - ١٢٢ ذكرا لكل ١٠٠ انثى ، وهذا واقع سكاني تجاوز الحدود

المعروفة عالميا في الوقت الراهن حيث ان نسبة النوع تتراوح ما بين ١٠٠ – ١٥٠ عادةً .

اما بصدد التوزيع العمري فالثقافة الاسلامية السائدة والمشجعة على الزواج المبكر وتعدد الزوجات لاشك من انها تسببت في ارتفاع عدد المواليد بحدود ..... ولكن من جانب اخر تسببت الظروف الصحية المتخلفة في ارتفاع عدد الوفيات وبشكل خاص وفيات الاطفال الرضع infant mortality ونقدرها بحدود ..... من ذلك فان المعدل السنوي للزيادة الطبيعية للسكان ، وهو ما يطلق عليه بالنمو الطبيعي ، منخفض وهو ..... على ضوء تقديراتنا للولادات والوفيات .

وعلى اساس هذه التوقعات فان النسبة التي يشكلها صغار السن (دون ١٥ عاما من العمر) لاتزيد على ٤٠٪ كما ان الظروف الصحية غير مناسبة للأعمار الكبيرة حيث ان متوسط العمر لايتجاوز ٤٠ عاما ، من ذلك نقدر نسبة كبار السن (ممن تتجاوز اعمارهم ٦٥ عاما) بحدود ١٪ ، وبذلك فان الفئة الوسطى (ما بين ١٥ – ٦٥ عاما) هي السائدة حيث تشكل هذه الفئة نسبة ٥٩٪ .

على وفق هذه النسب فان هرم السكان يتشكل من التركيب العمري (للفئات الثلاث الرئيسية) كالاتي :

- الفئة الاولى (صغار السن) = ٢٠٠٠٠٠ نسمة .
- الفئة الثانية (الوسطى) = ٢٩٥٠٠٠ نسمة .
- الفئة الثالثة (كبار السن) = ٥٠٠٠ نسمة .

وبالنسبة الى توزيعهم حسب النشاطات الاقتصادية فان الغالبية العظمى يعملون في النشاط الحرفي (الصناعي) وفي الخدمات على اننا نتوقع وجود نسبة من العاملين في الحقول الزراعية (البساتين) المحيطة ببغداد حينذاك . ولابد من التنويه الى ان اعداد المنتسبين الى الجيش والشرطة والعاملين في دواوين الحكومة هم في عداد العاملين في قطاع الخدمات .

نسبة الامية مرتفعة فغالبية السكان لايعرفون القراءة والكتابة ولعل نسبة كبيرة منهم يعرفون القراءة من دون القدرة على الكتابة بفضل قراءة القران الكريم .

وترتفع نسبة المتزوجين للاعمار ١٥عاما فاكثر بفعل الثقافة والتربية الاسلامية فهي قد تتجاوز ٩٠٪ وتعود نسبة العزوبية الى عدم القدرة على الزواج بسبب الحالة المادية وبسبب الحالة المرضية احانا .

هذه هي اهم الملامح السكانية (الديموغرافية) لمجتمع بغداد في مرحلة التاسيسوالنشاة ، وقد تطورت في المرحلة اللاحقة حتى اتسم المجتمع السكاني بالنمو والازدهار احانا وبالتراجع احانا اخرى ...

المراجع :

١- ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بأبن الجوزي (١٣٤٢ هـ) ، مناقب بغداد (علق عليه ونشره محمد بهجة الأثري البغدادي) ، مطبعة دار السلام ، بغداد.

٢- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد - دليل خارطة بغداد (المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا - المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٨ .

٣- الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (١٩٥٥) ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، دار بيروت .

٤- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (١٩٣١) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (طبع بعناية محمد أمين الخانجي) ، ج ١، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٥- الخفاف ، عبد علي جغرافية السكان/ اسس عامه / دار الفكر - عمان- الاردن- (١٩٩٩) .

٦- الراوي ، طه (-) بغداد مدينة السلام - دار المعارف - القاهرة .

٧- سوسة ، أحمد (١٩٦٣) ، فيضانات بغداد في التاريخ (ساعد المجمع العلمي على نشره) ج ١ - مطبعة الأديب البغدادية .

٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٦) ، تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، الطبعة الثانية ،دار المعارف بمصر ، ج١.

٩- محمد علي ، ابراهيم مزية (٢٠٠٨) مدينة بغداد / الابعاد الاجتماعية

وظروف النشأة / دراسة بنائية تأريخية – الطبعة الاولى – الحضارية للطبع والنشر – بغداد .

١٠- مرزة ، منذرجواد (٢٠٠٧) بغداد وحاكموها عبر العصور (٧٦٢- ٢٠٠٣) – مطبعة الغري الحديثة – النجف – (اخذت عنه التواريخ المتعلقة بالخلفاء المشار اليهم في هذا الكتاب كافة).

١١- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٠٠٢) ، البلدان (وصنع حواشيه محمد أمين ضناوي) ، الطبعة الأولى (منشورات محمد علي بيضون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

مراجع الهوامش :

- مجلة الفيصل (١٩٨١) – العدد (٥) (تحقيق) المملكة العربية السعودية

- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، مصدر سابق .

- اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق .

- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، مصدر سابق .

- ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، مصدر سابق .